

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْبُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾
فَسْتَصِرُّ وَيُصِيرُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيَّتُهَا الْمَفْتُونُ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى : ﴿ن﴾ كقوله ﴿ص. ق﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور ، وتحريم القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقيل : المراد بقول ﴿ن﴾ حوت عظيم على نيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان هو الثوري ، حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وماذا أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فلها لتفخر على الأرض ، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن الأعمش به ، وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووکیع عن الأعمش به .

وزاد شعبة في روايته ثم قرأ ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال : فذكره ثم قرأ ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال : إن أول شيء خلق ربي عز وجل القلم ثم قال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه . وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً ، فقال : حدثنا أبو حبيب زيد بن المهدي المروزي ، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال للقلم اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : كل شيء كائن إلى يوم القيامة» ثم قرأ ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ فالنون الحوت ، والقلم القلم .

[حديث آخر] في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما يكون - أو ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة ، فذلك قوله ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال : وعزني لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت» .

وقال ابن أبي نجیح : إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال : كان يقال النون الحوت العظيم الذي تحت الأرض السابعة ، وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلاظ السموات والأرض ، وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ، والله أعلم . ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأتاه فسأله عن أشياء قال إني سألتك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي ، قال : ما أول أشراف الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه ؟ قال : «أخبرني بهن جبريل آنفاً» قال ابن سلام : فذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : «أما أول أشراف الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ،

وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت» ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه مسلم أيضاً، وله من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نحو هذا، وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسامة الرحبي عن ثوبان أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل، فكان منها أن قال: فما تحفتهم، يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة، قال: «زيادة كبد الحوت» قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «ينحروهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شراهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسيلاً» وقيل: المراد بقوله ﴿ن﴾ لوح من نور.

قال ابن جرير: حدثنا الحسن بن شبيب المكتب، حدثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة، وهذا مرسل غريب، وقال ابن جرير: أخبرنا أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام، وقيل المراد بقوله ﴿ن﴾ دواة، والقلم القلم. قال ابن جرير: حدثنا عبد الأعلى، حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله ﴿ن﴾ فلا هي الدواة، وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله النون وهي الدواة».

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت الثمالي عن ابن عباس قال: إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم فقال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فحور أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم الزم كل شيء من ذلك شأنه: دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف، ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا في الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا. قال: فقال ابن عباس: أستم قوماً عرباً تسمعون الحفظة يقولون: «إنا كنا نستنسخ ما كتتم تعملون» وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل.

وقوله تعالى: ﴿والقلم﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فهو قسم منه تعالى وتنبه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وما يسطرون﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني وما يكتبون. وقال أبو الضحى عن ابن عباس: وما يسطرون أي وما يعملون وقال السدي: وما يسطرون يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد، وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف عام. وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالوا: حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي عن عطاء، هو ابن أبي رباح، حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال: دعاني أبي، حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، قال يا رب ما أكتب؟ قال اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد﴾ وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه به، وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به، وقال حسن صحيح غريب.

ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن يحيى بن حسان عن ابن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة، واسمه حبيش بن شريح الحبشي الشامي، عن عبادة فذكره. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال ﴿إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء﴾ غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد: يعني الذي كتب به الذكر. وقوله تعالى ﴿وما يسطرون﴾ أي يكتبون كما تقدم.

وقوله ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أي لست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك، المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين، ففسبوك فيه إلى الجنون. ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبسد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم، ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله ﴿عطاء غير مجدود﴾ ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع عنهم. وقال مجاهد: غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه.

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ قال العوفي عن ابن عباس : وإِنَّكَ لَعَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ وهو الإسلام ، وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس ، وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال عطية : لعلى أدب عظيم . وقال معمر عن قتادة : سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكرنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أليس تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أتقرأ القرآن ؟ فقلت : نعم فقالت كان خلقه القرآن . هذا مختصر من حديث طويل ، وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله ، وسيأتي في سورة المزمل إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ قال : قلت حدثيني عن ذلك . قالت : صنعت له طعاماً وصنعت له حفصة طعاماً ، فقلت لجاريتي اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعت قبل فاطمحي الطعام ، قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطح ، قالت فجمعه رسول الله ﷺ قال «اقتصوا - أو اقتصي شك أسود - ظرفاً مكان ظرفك» قالت فما قال شيئاً .

وقال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس ، حدثنا أبي ، حدثنا المبارك ابن فضالة عن الحسن عن سعد بن هشام قال : أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها : أخبريني بخلق النبي ﷺ ، فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ؟ وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه . وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا بن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها سألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي ، رواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح به .

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي ، فهمها به القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح الحلم ، وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا ال لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ولا مست خراً لا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ ، قال البخاري : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى لترمذي في هذا كتاب الشئائل .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ، ولا ضرب امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤذ إليه إلا أن تنتهك حرمت الله فيكون هوي ينتقم لله عز وجل وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» تفرد به .

وقوله تعالى : ﴿فَسْتَبْصِرْ وَبَصِّرْ بِنُورِ الْمُنْتَوِينَ﴾ فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرَ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن جرير : قال ابن عباس في هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس : بأيكم المفتون أي المجنون ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال قتادة وغيره : بأيكم المفتون أي أولى بالشیطان ، ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل في قوله ﴿فستبصر وبصرون﴾ وتقديره فستعلم ويعلمون أو

فستخبر ويخبرون بأبكم المفتون ، والله أعلم . ثم قال تعالى : ﴿إِنْ رِبْكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدَوَّالُو تَدْهِنٍ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ

حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِيٍّ

﴿١٤﴾ إِذْ أَتَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا فَأَلَاكَ أَسْطِرًا الْأُولَى ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْكُرْهُورِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿فلا تطع المكذبين﴾ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴿قال ابن عباس : لو ترخص لهم فيرخصون . وقال مجاهد ﴿ودوا لو تدهن﴾ تركن إلى أهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق . ثم قال تعالى : ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانتة إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترى بها على أساء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها ؛ قال ابن عباس : المهين الكاذب ، وقال مجاهد : هو الضعيف القلب ، قال الحسن : كل حلاف مكابر مهين ضعيف .

وقوله تعالى : ﴿هماز﴾ قال ابن عباس وقتادة : يعني الاغتيا ب ﴿مشاء بنميم﴾ يعني الذي يمشي بين الناس ويمرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الخالقة ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال : مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال ﴿إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة﴾ الحديث . وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به ، وحدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ يعني نماماً ، وحدثني يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش ، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحارث قال : مر رجل على حذيفة ، فقيل إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، أو قال : قال رسول الله ﷺ ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ وقال أحمد : حدثنا هشام ، حدثنا مهدي عن واصل الأحدب عن أبي وائل قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال : سمعت رسول الله ﷺ قال ﴿لا يدخل الجنة نمام﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب ، عن أساء بنت يزيد بن السكن أن النبي ﷺ قال ﴿ألا أخبركم بخياركم؟﴾ قالوا : بلى يا رسول الله . قال ﴿الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل﴾ ثم قال ﴿ألا أخبركم بشراكم المشامون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت﴾ ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ ﴿خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشامون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت﴾ .

وقوله تعالى : ﴿مناع للخير معتد أثيم﴾ أي يمنع ماعليه وما لديه من الخير ﴿معتد﴾ في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿أثيم﴾ أي يتناول المحرمات ، وقوله تعالى : ﴿عتل بعد ذلك زئيم﴾ أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع النوع . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر﴾ وقال وكيع ﴿كل جواظ جمعظري مستكبر﴾ أخرجه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن علي قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال عند ذكر أهل النار ﴿كل جمعظري جواظ مستكبر جماع مناع﴾ تفرد به أحمد .

قال أهل اللغة : الجمعظري الفظ الغليظ ، والجواظ الجموع النوع . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد

الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال : سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم فقال «هو الشديد الخلق المصحح الأكل والشروب الواحد للطعام والشراب ، الظلوم للناس رحيب الجوف» وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري العتل الزنيم» وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين : وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا أبو ثور عن معمر بن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ «تبكي السماء من عبد أصبح الله جسمه . وأرحب جوفه وأعطاءه من الدنيا هضماً فكان للناس ظلوماً قال فذلك العتل الزنيم» وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوي في الأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك ، وأما الزنيم فقال البخاري : حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس «عتل بعد ذلك زنيم» قال : رجل من قريش له زغبة مثل زغبة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان مشهور بالسوء كشهرة الشاة ذات الزغبة من بين أخواتها ، وإنما الزنيم في لغة العرب هو الدعي في القوم ، قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان بن ثابت ، يعني يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيظ في آل هاشم
كما نيظ خلف الراكب القلح الفرد
وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه
بغني الأم ذو حسب لثيم
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس في قوله «زنيم» قال : الدعي الفاحش اللثيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجسالة زيادة
كما زيد في عرض الأديم الأكارع
وقال العوفي عن ابن عباس : الزنيم الدعي ، ويقال : الزنيم رجل كانت به زغبة يعرف بها ، ويقال : هو الأخس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة ، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد يغوث الزهري وليس به . وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملقب بالنسب ، وقال ابن أبي حاتم : حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية «عتل بعد ذلك زنيم» قال سعيد : هو الملقب بالقوم ليس منهم ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبه بن خالد عن عامر بن قدامة قال : سئل عكرمة عن الزنيم قال : هو ولد الزنا .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى : «عتل بعد ذلك زنيم» قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها . وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبیر قال : الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزمنتها والزنيم الملقب . رواه ابن جرير ، وروي أيضاً من طريق داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زغبة في عنقه يعرف بها قال : وقال آخرون كان دعياً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا : هو الذي تكون له زغبة مثل زغبة الشاة ، وقال الضحاك : كانت له زغبة في أصل أذنه ويقال هو اللثيم الملقب في النسب ، وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس : هو المريب الذي يعرف بالشر ، وقال مجاهد : الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين : الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة : الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزمنتها . والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس وغالباً يكون دعياً ولد زنا ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث «لا يدخل الجنة ولد زنا» وفي الحديث الآخر «ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه» .

وقوله تعالى : «أن كان ذا مال وبنين إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين» يقول تعالى : هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها ، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله تعالى : «ذرنى ومن خلقت وحيداً» وجعلت له مالا ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطعم أن أزيد * كلا إنه كان لأياتنا عنيداً * سأرهقه صعوباً * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدير واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر * .

وقال تعالى ههنا ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال ابن جرير : سنين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم ، وهكذا قال قتادة ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ شين لا يفارقه آخر ما عليه ، وفي رواية عنه . سيبا على أنفه ، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ يقال يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال .

وقال آخرون ﴿سنسمه﴾ سمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم ، حكى ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه .
وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عم يتساءلون﴾ حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله ، عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم يموت والله عليه راضٍ ، ومن مات همزاً لمازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين» .

إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٧٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ

وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٧٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٨٠﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٨١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٨٣﴾

أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينِينَ ﴿٨٤﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٨٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٨٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلِزَأَقُلُّ

لَكُمْ لَوْلَا أُنزِلَتْ سَحَابٌ مِّنَ رَبِّنَا إِنَّا لَنَآكِلٌ مِّن لَّيْمِينَ ﴿٨٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَوْلَا إِنَّا كَانُظْمِيرِينَ ﴿٩٠﴾ عَسَىٰ

رَبِّنَا أَنْ يَبْدُلَنَا حَيْرًا مِّمَّا إِنَّا لِنَرِي تَارِعُونَ ﴿٩١﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٩٢﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة ، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال تعالى : ﴿إنا بلويناهم﴾ أي اخترناهم ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إذ أقسموا ليصرمها مصبحين﴾ أي حلفوا فيها بينهم ليحذرن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿ولا يستنون﴾ أي فيها حلفوا به ، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم فقال تعالى ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ أي أصابها آفة سبوية ﴿فأصبحت كالصريم﴾ قال ابن عباس أي كالليل الأسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع إذا حصد أي هشيأ يساً . وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال ؛ قال رسول الله ﷺ «إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان همى له» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم﴾ قد حرموا خير جنتهم بذنبيهم .
﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ أي القطع ﴿أن اغدوا على حرتكم إن كنتم صارمين﴾ أي تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرتهم عنباً ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ أي يتناجون فيها بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والتجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى : ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكينين﴾ أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم . قال الله تعالى : ﴿وغدوا على حرد﴾ أي قوة وشدة .

وقال مجاهد ﴿وغدوا على حرد﴾ أي جد ، وقال عكرمة : على غيظ ، وقال الشعبي ﴿على حرد﴾ على المساكين ، وقال السدي ﴿على حرد﴾ أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدي في قوله هذا ﴿قادرين﴾ أي عليها فيما يزعمون ويرومون

﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة النثار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا ﴿إنا لضالون﴾ أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها قانه ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا ﴿بل نحن محرومون﴾ أي بل هي هذه ولكن نحن لا نحظ لنا ولا نصيب .

﴿قال أوسطهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة : أي أعدلهم وخيرهم ﴿أم أقل لكم لولا تسبحون؟﴾ قال مجاهد والسدي وابن جريج ﴿لولا تسبحون﴾ أي لولا تستنون قال السدي : وكان استنناؤهم في ذلك الزمان تسبيحاً وقال ابن جرير : هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ، ولهذا قالوا ﴿إنا كنا ظالمين﴾ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴿أي يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب﴾ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿أي اعتدنا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابت ما أصابنا .

﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إلى ربنا راغبون﴾ قيل : رغبوا في بدلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم . ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل : كانوا من أهل الحبشة ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب : وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا : لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عقبوا بنقض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء . قال الله تعالى : ﴿كذلك العذاب﴾ أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرة ﴿وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة ، أشق ، وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهي عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٦٨﴾ فَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرْمِينِ ﴿٦٩﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ

كُرِّهْتُمْ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٧١﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْتَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ كُرِّهْتُمْ عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٧٣﴾ سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ

بِبَعْضِكُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٧٤﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَاقُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٧٥﴾

لما ذكر الله تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل ، وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقض نعيمها ثم قال تعالى : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟﴾ أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال : ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى : ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ إن لكم فيه لما تخيرون ﴿يقول تعالى : أفأبيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه ؟﴾ إن لكم فيه لما تخيرون ﴿أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟﴾ إن لكم لما تحكمون ﴿أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ؟﴾ إن لكم لما تحكمون ﴿أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون﴾ سلمهم بذلك زعيم ﴿أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟﴾ قال ابن عباس : يقول أيهم بذلك كفيل ﴿أم لهم شركاء﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٣﴾ خَشَعَةً أَبْصَارُهُمْ زَهَقَتْهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدَّكَأَوْ يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿١٤﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْتَلْهُمُ آجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ، بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء ، والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخاري ههنا : حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي ﷺ يقول ويكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرها من طرق ، وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور ، وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال : هو يوم القيامة يوم كرب وشدة ؛ رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال : عن أمر عظيم ، كقول الشاعر :

شالت الحرب عن ساق

وقال ابن نجيب عن مجاهد ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال : شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة ، وقال ابن جرير عن مجاهد ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال : شدة الأمر وجده ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس : قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه ، وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس : أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ثم قال : حدثني أبو زيد عمر بن شبة ، حدثنا هارون بن عمر المخزومي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة ابن أبي موسى عن أبيه عن النبي قال ﴿يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخترن له سجداً ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة ، إذا تجمل الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً كلما أراد أحدهم أن يسجد خرف لقفاه عكس السجود ، كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى : ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني القرآن ، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه أنا أعلم به منه كيف استدرجه وأمه في غيه وأنظره ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولهذا قال تعالى : ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة ، كما قال تعالى ﴿أحسبون أنما نغدهم به من مال وبينن نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ وقال تعالى : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ ولهذا قال ههنا ﴿وأملئ لهم إن كيدي متين﴾ أي وأؤخرهم وأنظرمهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿إن كيدي متين﴾ أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي .

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال وإن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ وقوله تعالى : ﴿أم تسألهم أجرأ فهم من مغرم مثفلون؟﴾ أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى ، وهم يكذبون بما جنتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد .

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ وَلَا

أَنْ تَدْرِكُمْ نِعْمَةُ رَبِّهِ لِيُنْذِرَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُمُ فَجَعَلَهُمُ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَرِهِمْ

لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْذُومُونَ ﴿٥١﴾ وَمَا هُمْ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى : ﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولاتباعك في الدنيا والآخرة ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشروء الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ، وسبانه تسييح البحر بما فيه للعمل القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ قال الله تعالى : ﴿فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نجى المؤمنين﴾ وقال تعالى : ﴿فولما أنه كان من المسيحين﴾ للبت في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ وقال ههنا ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك : مكروب وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ خرجت الكلمة تحن حول العرش فقالت الملائكة : يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة ، فقال الله تبارك وتعالى : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا ، قال : هذا يونس ، قالوا : يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم ، قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فتنجيه من البلاء فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ، ولهذا قال تعالى : ﴿فاجتبهه ربه فجعله من الصالحين﴾ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ﴿لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى﴾ ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة . وقوله تعالى : ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿ليزلقونك﴾ لينفذونك ﴿بأبصارهم﴾ أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمائته إياك منهم ، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حتى بأمر الله عز وجل ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة .

[حديث أنس بن مالك رضي الله عنه] قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود العتكي ، حدثنا شريك ح ، وحدثنا العباس العنبري ، حدثنا يزيد بن هارون . أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي ، قال العباس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ ﴿لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأه﴾ لم يذكر العباس العين ، وهذا لفظ سليمان .

[حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه] قال أبو عبد الله ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن غير ، حدثنا إسحاق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ ﴿لا رقية إلا من عين أو حمة﴾ هكذا رواه ابن ماجه ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفاً وفيه قصة ، وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي . وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفاً ﴿لا رقية إلا من عين أو حمة﴾ .

[حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه] قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة بن يزيد السامي ، حدثنا ديلم بن غزوان ، حدثنا وهب بن أبي ذني عن ابن حرب عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ ﴿إن العين لتلوع الرجل بإذن الله فيتصاعد خالقا ثم يتردى منه﴾ إسناده غريب ولم يخرجوه .

[حديث حابس التميمي] قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثني حية بن حابس التميمي أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ﴿لا شيء في الهام والعين حق ، وأصدق الطيرة القول﴾ وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن أبي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب . قال : وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حية بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قلت : كذلك

رواه الإمام أحمد عن حسين بن موسى ، وحسين بن محمد عن شيبان بن أبي حبة ، حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا بأس في الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » .

[حديث ابن عباس رضي الله عنه] قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد ، حدثني إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس : قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ، تستنزل الخالق » غريب . [طريق أخرى] قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخاري . وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان رسول صلي الله تعالى عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المنهال به .

[حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه] قال ابن ماجه : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كالיום ولا جلد نحاة ، فما لبث أن لبط به فأق به رسول الله ﷺ فقيل له أدرك سهلاً صريعاً قال : « من تهمون به » قالوا : عامر بن ربيعة قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره ، وأمره أن يصب عليه ، قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن بكف الإناء من خلفه ، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به ، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضاً عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة ويكف الإناء من خلفه ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ، ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه به .

[حديث أبي سعيد الخدري] قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجن وأعين الإنس ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بها وترك ما سوى ذلك ، ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي إياس أبي مسعود الجريري به وقال الترمذي : حسن .

[حديث آخر عنه] قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب ، حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ قال : « نعم » قال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنك والله يشفيك ، باسم الله أرقيك ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى فأتاه جبريل فقال باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من كل حاسد وعين والله يشفيك ، ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به قال أبو زرعة الرازي : روى عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه ، وكلاهما صحيح .

[حديث أبي هريرة رضي الله عنه] قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجاه من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن علي عن الجريري عن مضارب بن حزن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق » تفرد به ، ورواه أحمد عن إسماعيل بن علي عن سعيد الجريري به ، وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » وقال أحمد : حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس : سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت إذا أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » .

[حديث أسماء بنت عميس] قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة

الزرقني قال : قالت أسهاء يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأستترقي لهم ؟ قال «نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين» وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عروة بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعه عن أسهاء بنت عميس به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

[حديث عائشة رضي الله عنها] قال ابن ماجه : حدثنا علي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسعور ، عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تستترقي من العين . ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعور كلاهما عن معبد به ، ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو هشام المخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ «استعينوا بالله فإن النفس حق» تفرد به . وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه العين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان أن ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل» .

[حديث سهل بن حنيف] قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة ، اغتسل سهل بن حنيف ، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال : ما رأيت كالسيوم ولا جلد نجبة ، فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له : يا رسول الله هل لك في سهل ! والله ما يرفع رأسه ولا يضيق ، قال : «هل تنهمون فيه من أحد ؟» قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه وقال : «علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟» ثم قال - اغتسل له - فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلته إزاره في قدح ، ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ القدح وراءه ، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

[حديث عامر بن ربيعة] قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا وكيع ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال : انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال فانطلقا يلتمسان الخمر . قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فاصبته بعيني فتزل الماء يغتسل ، قال فسعدت له في الماء فرقة فأتيته فنادته ثلاثاً فلم يجيني ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال فجاء بمشي فخاض الماء فكأنني أنظر إلى بياض ساقه ، قال فضرب صدره بيده ثم قال : «اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها» قال فقام ، فقال رسول الله ﷺ «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليترك فإن العين حق» .

[حديث جابر] قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ، ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه ، حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس» قال البزار يعني العين قال : ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد . قلت : بل قد روي من وجه آخر عن جابر . قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب ، وهو مشتمل على فوائد جلية وغريبة : حدثنا الرمادي ، حدثنا يعقوب بن محمد ؛ حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي ، حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : «العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين» . ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ «قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر» . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه .

[حديث عبد الله بن عمرو] قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق» تفرد به أحمد .

[حديث عن علي] روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ ، حدثنا عبيد بن محمد الكشوري ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة ، عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتاً فقال : يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال «الحسن والحسين أصابتهما

عين» قال : صدق بالعين فإن العين حق أفلا عوذتها بهؤلاء الكلمات ؟ قال «وما هن يا جبريل؟» قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم والمن القديم ، ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس . فقالها النبي ﷺ ، فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي ﷺ «عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله» قال الخطيب البغدادي : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الخطي من أهل نستر ، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه ، وقوله تعالى : ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بالسنتهم ويقولون إنه لمجنون أي لمجيئه بالقرآن قال الله تعالى ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ آخر تفسير سورة ن والحمد والمنة .

سُورَةُ الْحَقِّ قُلْتُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَتَا ثَمُودُ فَأَهْلَكَوْا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأَهْلَكَوْا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَمَاءَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةَ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَنَاطِقُا الْمَاءِ حَمَلَتُكُوفٍ لِلْمَآرِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾

الحاققة من أسهاء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها فقال : ﴿وما أدراك ما الحاققة﴾ ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى : ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكتتهم ، هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة ، وهو اختيار ابن جرير ، وقال مجاهد : الطاغية الذنوب ، وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد أنها الطغيان وقرأ ابن زيد ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ وقال السدي فأهلكوا بالطاغية قال يعنى عاقر الناقة ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أي باردة قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري ﴿عاتية﴾ أي شديدة الهبوب ، قال قتادة . عتت عليهم حتى نقتت عن أفئدتهم . وقال الضحاك : ﴿صرصر﴾ باردة ﴿عاتية﴾ عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة ، وقال علي وغيره : عتت الخزنة فخرجت بغير حساب .

﴿سخرها عليهم﴾ أي سلطها عليهم ﴿سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما﴾ أي كوامل متتابعات مشائيم ، قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم : حسوما متابعات ، وعن عكرمة والربيع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى : ﴿في أيام نحسات﴾ قال الربيع : وكان أولها الجمعة وقال غيره الأربعاء ، ويقال إنها التي تسميها الناس الأعجاز ، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ وقيل لأنها تكون في عجز الشتاء ، ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلتها الريح في اليوم الثامن ، حكاه البغوي والله أعلم . قال ابن عباس : ﴿خاوية﴾ خربة ، وقال غيره : بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرب ميتا على أم رأسه ، فيشذخ رأسه وتبقى جثته هامة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور» وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدي حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الحاتم ، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض ، فلما